مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 672-689

حقيقة التّيسير النّحوي عند عبد الرّحمان الحاج صالح

The reality of grammatical facilitation according to Abd al-Rahman al-Hadj Saleh

عزالدين شحيمة [1*]، مخبر اللّغة العربيّة العلميّة والتّعليميّة، جامعة البويرة

a.chaima@univ-bouira.dz،(الجزائر)

بوعلام طهراوي[2] ، مخبر اللّغة العربيّة العلميّة والتّعليميّة، جامعة البويرة (الجزائر)،

b.tahraoui@univ-bouira.dz

تاريخ إرسال المقال: 02-08-2022 تاريخ قبول المقال: 23-08-2022

الملخص:

نعرض في هذه الورقة البحثيّة لمسألة تيسير النّحو العربي، ونركّز فيها على ما يعنيه التّيسير النّحوي عند عبد الرّحمان الحاج صالح، الّذي مزج في فكره بين ما وصلنا من التّراث النّحوي العربي القديم، وبين ما توصّلت إليه أحدث النّظريّات الغربيّة الحديثة في هذا الميدان، وهذا المزج عنده لم يكن لأسباب ذاتيّة، أو لإرضاء المقتنعين بموضوعيّة فكره، وإنّما هو حقيقة فرضها الواقع اللّغوي، بما يحمله من معطيات وما يُحيط به من مستجدّات. وقد توصّلت الدّراسة إلى أنّ التّيسير لا يكون في النّحو ذاته، وإنّما يكون في الكيفيّة الّتي تُقدّم بها مادة النّحو إلى المتعلّمين؛ رغم أنّ سبب ضُعف المُتعلّمين في مادة النّحو، تحكمه عدّة عوامل منها ما يتعلّق بالنّحو في حدّ ذاته ومنها ما يتعلّق باختيار المادّة النّحوية.

الكلمات المفتاحية: التّيسير، الحاج صالح، التّراث النّحوي، النّظريات الغربيّة.

Abstract: In this research paper, we present the issue of facilitating Arabic grammar, and focus in it on whatis meant by grammatical facilitation according to Abd al-Rahman al-Hadj Saleh, who in histhought mixed between what we have learned from the ancient Arabic grammatical heritage, and what wasreached by the latest Western theories in this field, and this blending with him It was not for subjective reasons, or to satisfy those who are convinced of the objectivity of histhought, but ratheritis a factimposed by the linguistic reality, with the data itcontains and the developments surroundingit.

* عزالدين شحيمة.

The study concluded that facilitation is not in the same way, but rather in the manner in which the grammar material is presented to the learners; Although the reason for learners' weakness in grammar, is governed by several factors, including those related to grammar itself, including those related to the selection of grammatical material.
Key words : Facilitation, al- Hadj Saleh, grammatical heritage, Western theories.

مقدمة:

يُعدّ علم النّحو أهم مستوى من مستويات النّظام اللّغوي، إذ إنّه يُمثّل المُنطلق الأساس لكلّ الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة والنّقديّة والبلاغيّة، إلّا أنّ الواقع اللّغوي يُشير إلى الشّكوى من صعوبة فهمه وتحصيله، ما جعل متعلّميه يتذمّرون منه، ولم يقف هذا التّذمُّر عند المُتعلّمين فقط، بل تعدّاه إلى المعلّمين، والقائمين على الشّأن التّربوي عمومًا، ورغم أنّ الدّعوة إلى تيسير النّحو قديمة قِدم النّحو ذاته، إلّا أنّ الإلحاح على هذا المطلب ازداد بشكل كبير في العصر الحديث وأصبح تيسير النّحو ضرورة لا بدّ منها. ولهذا تعدّدت المُحاولات التّيسيريّة في العصر الحديث ، واختلفت وسائلها، وتنوّعت طُرق دُعاتها، فانقسموا إلى عدّة فرق، فنجد منهم من يرفض فكرة التّيسير من الأساس، وآخر يرى ضرورة الرّبط بين التّراث النحوي العربي القديم وبين ما أفرزته النّظريات الحديثة، وثالث حاول التّمرّد على أصول النّحو العربي وطالب في دعواته بإلغاء بعض ركائز النّحو وأبوابه. وهذا ما دفع بنا إلى محاولة الكشف عن رأي عَلَم من أعلام الفكر اللّساني العربي الحديث _فيما يخصّ مسألة تيسير النّحو_ وهو الأستاذ عبد الرّحمان الحاج صالح رحمه الله. فإلى أيّ فريق من دعاة التّيسير هؤلاء ينتمي الحاج صالح؟ وماذا يعني التّيسير عنده؟ وقد اتّبعنا في دراستنا هاته المنهج الوصفي من خلال الوُقوف عند أهم الآراء التّيسيريّة الّتي تميّز بها فكره.

المبحث الأول: التّيسير: المفهوم والخلفيّة:

تطرّقنا في هذا المبحث إلى بيان مفهوم التّيسير، والكشف عن مواضع تداخله مع غيره من المفاهيم، وكذا الكشف عن الاختلافات القائمة بين القدماء والمحدثين في هذه المسألة، بالإضافة إلى العوامل الّتي أدّت بالقدماء إلى الاهتمام بها.

المطلب الأول: مصطلح (التّيسير): الدّلالة والتّداخل المفهومي:

إنّ توسّع الدّعوة في العصر الحديث إلى ضرورة تجديد النحو وتيسيره، أفرز تباينًا في الطّرق المُعتمدة لتحقيق هذه الغاية، فتعدّدت المصطلحات وتداخلت المفاهيم، لذلك سنحاول قبل حديثنا عن التّيسير النحوي عند الحاج صالح أن نقدّم نبذة عمّا تدلّ عليه هذه المصطلحات، الّتي لا تختلف غاية واضعيها عن غاية دُعاة التّيسير، وهذه المصطلحات هي: الإحياء والإصلاح والتّبسيط والتّجديد.

أولا: الإحياء: يرتبط ظهور هذا المصطلح بكتاب "إحياء النحو" لإبراهيم مصطفى، الّذي بيّن في مقدّمته أهداف وطريقة تأليفه، حيث يقول:«ولكن أملًا كان يزجيني ويحذو بي في هذه السّبيل الموحشة أطمع أن أغيّر منهج البحث النحوي للّغة العربيّة، وأن أرفع عن المتعلّمين إصر هذا النحو، وأبدّلهم منه أصولًا سهلة يسيرة تقرّبهم من العربيّة»[1].

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ مدلول الإحياء ارتبط بإلغاء نظريّة العامل النّحوي، كما ارتبط بحذف بعض الأبواب النحويّة، وإعادة النّظر في الحركة الإعرابيّة، بهدف تيسير قواعد النحو وتسهيلها على المتعلّمين.

ثانيا: الإصلاح: هو مصدر للفعل "أصلح" ومعناه الإتيان بما هو صالح نافع. «يُقال: أصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح الشّيء: أزال فساده، وأصلح ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، وأصلح ذريّته: جعلها صالحة»[2].

أمّا في الاصطلاح فإنّ مدلول الإصلاح يعني «تخليص النّحو ممّا لحق به من فساد مزعوم، وتراكمات هي بحاجة إلى إزالة وتغيير»[3].ومن المؤلّفات الّتي حملت مصطلح الإصلاح نذكر: "في إصلاح النّحو العربي" لعبد الوارث مبروك، و"إصلاح النحو ليعقوب عبد النبي".

ثالثا: التّبسيط: هو مصدر للفعل بسّط. يُقال: «بسّط الشيء: نشره وجعله بسيطًا لا تعقيد فيه»[4].

أمّا في الاصطلاح فمدلوله «يوحي إلى إخراج نحو سهل بسيط للنّاس، بتبسيط قواعده وتغيير مسمّيات أبوابه، وتغيير مصطلحاته واستبدالها بأخرى سهلة ومفهومة»[1].

---

[1] مصطفى إبراهيم ، إحياء النحو، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، 2002، ص من مقدّمة الكتاب.

[2] المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللّغة العربيّة، مادّة (صلح)، القاهرة، 1972، ص565- 566.

[3] زارب الطيب، تيسير النّحو العربي بين القدامى والمحدثين، دراسة وصفيّة مقارنة، ابن مضاء وعباس حسن أنموذجين، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعبّاس، الجزائر، 2019/2018، ص162.

[4] المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مادّة (بسط)، ص89.

رابعا: التّجديد: لغة هو مصدر للفعل "جدّد".«يُقال:جدّد الشيء: صيّره جديدًا»[2].

إنّ المقصود بالتّجديد في النحو هو الاعتماد على المناهج اللغويّة الحديثة في إعادة تصنيفه من جديد، وتبويبه تبويبًا حديثًا، وفي هذا يقول تمام حسان:«رأيت النّاس في معظمهم يشكون داءً في النّحو العربي، لا يستطيعون تشخيصه...فتكلّموا في جزئيات النّحو لا في صلب المنهج، وشتّان بين من ينقد أجزاء المادّة وبين من يريد علاج الفلسفة الّتي انبنت عليها دراستها، لهذا فكّرت في أمر الدّراسات العربيّة القديمة من حيث المنهج لا من حيث التّفاصيل، وجعلتُ تفكيري في أمرها مُستضيئًا بمناهج الدّراسات اللّغويّة الحديثة»[3].

وفي تحقيقه لكتاب "الرّد على النحّاة" لابن مضاء القرطبي، يقول شوقي ضيف في مقدّمة التّحقيق:«انتقلتُ أُبيّن حاجة النّحو إلى تصنيف جديد يرفع عن النّاس ما يفدحهم ويبهظهم في تعلّمه...وأنا لا أزعم أنّني استخرجتُ من آرائه جميع النغم الّتي يُمكن أن ينصبّ منها في تنظيم كتاب النّحو، وتبويبه تبويبًا حديثًا، يُحقّق ما نصبو إليه من اليُسر والسّهولة»[4]. كما ألّف شوقي ضيف كتابًا عنوانه "تجديد النّحو" ما يعني أنّه اقتنع بأفكار ابن مضاء الدّاعية إلى إلغاء نظريّة العامل النّحوي وإلغاء كثير من المفاهيم النحويّة الواردة عند النّحاة القدامى، فابن مضاء انتقد النحّاة القدامى وهاجم أصول النّحو العربي.

خامسا: التّيسير: هو مصدر الفعل "يسّر". «يُقال: يسّر الشّيء: سهّله، ويُقال: يسّر له كذا: هيّأه وأعدّه»[5].

أمّا في الاصطلاح فهو يعني: «عرض المادّة النّحويّة بأسلوب سهل ميسّر أي تبسيط الصّورة الّتي تُعرض فيها القواعد الصّعبة على المتعلّمين، ومعالجتها معالجة تعليميّة لا معالجة نحويّة، فتُدرَّس هذه القواعد بوُضوح وإفهام، وتدرّج يحسّ به المتعلّم وهو يُنقل من قاعدة إلى أخرى»[6]. وهو ما يعني أنّ التّيسير النّحوي يكون في الطّرق أي في الكيفيّة الّتي تُقدّم بها المادّة النّحويّة للمتعلّم ولا يكون في المادّة نفسها، وهو الرّأي الّذي دعا إليه الحاج صالح، والّذي نحن بصدد توضيحه في هذه الورقة البحثيّة.

[1] زارب الطيب، تيسير النّحو العربي بين القدامى والمحدثين، ص163.
[2] المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مادّة (جدد)، ص147.
[3] حسّان تمّام، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ص11.
[4] القرطبي ابن مضاء، الردّ على النّحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص9.
[5] المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مادّة "يسر"، ص1123.
[6] زارب الطيب ، تيسير النّحو العربي بين القدامى والمحدثين، ص165.

المطلب الثاني: التّيسير بين القدماء والمحدثين:

يختلف القدماء عن المحدثين في موضوع التّيسير، فالتّبسيط في نظر القدماء قائم على الانتقاء من جملة النّحو العلمي، وتجنّب الإطالة والتّعمّق في ذكر القواعد، والاستعانة على توضيحها بالأمثلة وتقليل الشّواهد، والوقوف عند حدود العلّة الأولى، وتجنّب الشّاذ والنّادر، والتّمييز بين المستويات العلميّة، ولهذا قام خلف الأحمر (ت180هـ) بوضع كتاب مختصر في النحو العربي، يسهل تناوله على المبتدئين، حيث يقول:«لمّا رأيت النحويّين وأصحاب العربيّة أجمعين قد استعملوا التّطويل وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلّم...أمعنت النّظر في كتاب أؤلّفه، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المتعلّم عن التّطويل، فعملت هذه الأوراق ولم أدع فيها أصلًا، ولا أداة ولا حجّة ولا دلالة إلّا مليتها فيها»[1].

إنّ ما يُلاحظ من قول خلف الأحمر أنّه يُحاول معالجة مسألة التّطويل الّذي تميّزت به المؤلّفات النحويّة آنذاك، ورغم أنّ الغاية الّتي سعى إلى تحقيقها من وراء ذلك كانت تسهيل وتيسير فهم النّحو على المتعلّمين. إلّا أنّنا نرى أنّ اختلاف الزّمان له دور كبير في جعل المختصرات النّحويّة تحيدُ عن الغاية الّتي وُضعت لأجلها؛ فالمُختصر في عصر خلف الأحمر كان مُوجّهًا لمُتعلّمين يملكون لغة سليقيّة سليمة وما الهدف من وضعه إلّا لترسيخ قواعد هاته اللّغة، أمّا في العصر الحديث فإنّ المُختصر _حسب رأينا_ يزيد من صُعوبة تعليميّة النّحو، وهذا العدول عن الغاية المرجُوّة من وضع المختصرات يرجع سببه الرّئيس إلى طبيعة المتعلّم والبيئة اللّغويّة الّتي نشأ فيها.

كما دعا الجاحظ (ت255هـ) إلى ضرورة الاقتصار في تعليم النّحو على ما من شأنه أن يصون لسان المتعلّم من فاحش اللّحن، حيث يقول[2]: «أمّا النحو فلا تشغل به قلبالصّبي إلّا بقدر ما يُؤدّيه إلى السّلامة من فاحش اللّحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشكلة عمّا هو أولى به...وعويص النحو لا يجري في المعاملات، ولا يضطرّ إليه شيء»[3].أي أنّ القدماء أدركوا ضرورة وُجود مؤلّفات فيها من اليُسر ما يجعلها سهلة الفهم لدى متعلّمي النّحو.

---

[1] بلعيد صالح، في قضايا فقه اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص193.

[2] يُنظر، بلعجين سفيان، الدعوة إلى تيسير النحو العربي، البواعث والمنطلقات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم العدد18، 2018، ص6.

[3] الحاج صالح عبد الرّحمان، البنى النحويّة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرغاية، الجزائر، 2016، ص280.

فالقدماء كانوا على وعي بضرورة وُجود مستوى من المؤلّفات النّحويّة المختصرة والميسّرة إلى جانب موسوعاتهم العلميّة، ودليل ذلك ما نجده في عناوين مؤلّفاتهم، فبعضها يسمّى الواضح، وبعضها يُدعى الوجيز، وغير ذلك من العناوين الّتي لا تدع مجالًا للشكّ أنّ تلك العصور لم تخلُ من نحاة ومربّين ومعلّمين ألّفوا ما قرّب الطّريق إلى حدّ ما على المتعلّمين. ورغم أهميّة هذه المؤلّفات إلّا أنّ هناك بعض المآخذ الّتي تؤخذ عليها أبرزها أنّ بعضها لم يكن منظّمًا بشكل يصلح مباشرة للتّدريس، كما أنّ بعضها الآخر مفرط في الإيجاز، حتّى يكاد يعدّ من جملة الألغاز[1].

أمّا في العصر الحديث فقد اهتمّ عدد كبير من الباحثين العرب المحدثين بمسألة التّيسير، ومنهم علي أبو المكارم الّذي يقول فيها:«لعلّ من المسلّم به عند كثير من الباحثين والدّارسين أنّ النحو العربي بقدر من الصّعوبة كبير، ولقد أدرك هذه الصّعاب شيوخ النحو وأعلامه، كما أحسّها تلاميذه»[2].

وقال أحمد عبد الستّار الجواري:«مازال نحو العربيّة عند أهلها عسيرًا غير يسير، وعرٌ غير ممهّد، منحرفًا إلى غير قصده، لا يخلو من تعقيد، ولا سلِم من انحراف، ومازال هذا النحو مثار الشّكوى من المعلِّمين والمعلَّمين على سواء»[3].

سيظلّ موضوع تيسير النحو العربي على النّاشئة والمتعلّمين واجبًا قائمًا في الحاضر والمستقبل كما كان قائمًا في الماضي، خاصّة ونحن في عصر اتّجهت فيه اللّسانيات التّعليميّة إلى الإفادة من الخبرات والدّراسات النّظريّة والميدانيّة الحديثة الّتي أثرت مجالها بشكل لافت للانتباه، فقد طُبّقت هذه الدّراسات على نحو اللّغات الأجنبيّة فنجحت في تيسيره إلى حدّ كبير، وعليه حان الوقت ليستنير معلّم اللّغة العربيّة بما تمدّه به اللّسانيات، وإنّ اطّلاعه على ما يثبته اللّسانيون باستمرار في حقل تخصّصهم واجب حتمي للارتقاء بالتّعليم، وليس من قبيل التّرف[4]. وبذلك وجب تحديد المفهوم الإجرائي لمصطلح تيسير النحو، وهذا المفهوم يحدّده الحاج صالح كالآتي: هو تكييف النحو والصّرف مع المقاييس الّتي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصّورة الّتي تعرض فيها القواعد على المتعلّمين، أي أنّ التّيسير ينحصر في كيفيّة تعليم النحو، لا في النحو ذاته[5]. وهذا المفهوم هو الّذي تبنّته النظريّة الخليليّة الحديثة من خلال

[1] يُنظر، أبو المكارم علي، النحو التّعليمي حتّى منتصف القرن التّاسع الهجري، مجلّة معهد اللّغة العربيّة، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، العدد2، 1984، ص84.

[2] أبو المكارم علي ، أصول التّفكير النحوي، ، ط1، دار غريب، 2007، ص7.

[3] الجواري أحمد عبد الستّار، نحو التّيسير، دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984، ص9.

[4] يُنظر، الأوراغي محمد، اللّسانيات النسبيّة وتعليم اللغة العربيّة، ط1، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2010، ص59- 60.

[5] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان ، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الرغاية، الجزائر، 2007، ص236.

فكر مؤسّسها الحاج صالح، ونبّهت المصلحين ودعاة التّيسير إليه منذ أكثر من ثلاثين سنة، مفرّقةً بين نوعين من النحو هما: النحو العلمي (النّظري)، والنحو التّعليمي (التّربوي)، حيث يقول الحاج صالح في توضيحه للفرق بين هذين النّوعين من الدّراسة (العلميّة والتعليميّة) أنّ:«الأولى هي ممارسة للبحث العلمي في ميدان خاص، والثّانية هي تعلّم واكتساب لمهارة معيّنة. وهما ميدانان مختلفان والّذي يربطهما هو محاولة استثمار التّعليم لما يأتي به البحث العلمي في اللّغة (أي النحو العلمي) من جديد المعلومات. ويتمّ ذلك بتكييف هذه المعلومات الجديدة لما تقتضيه قوانين التّعليم للّغات. فما يبحث عنه ويُحاول إثباته الباحث شيء، وما يقوم به معلّم اللّغة من عمل لإكساب المهارة في اللّغة شيء آخر، فهذا النحو التّعليمي، وهو جزء ممّا يستعين به المعلّم في عمله، يجب أن تتحسّس طرائقه باستغلال ما يكتشفه النحو العلمي وهو جزء هام من علوم اللّسان»[1].

وقد شبّه الحاج صالح استفادة النحو التّعليمي ممّا يكتشفه النحو العلمي من نتائج بما تستفيده مختلف الصّناعات من علم الفيزياء، إذ«لا فرق في ذلك بين علم الفيزياء في مختلف فروعها كالصّوت والكهرباء والإلكترونيك وغير ذلك، وما تستفيده مختلف الصّناعات من كلّ ما تكتشفه وتثبّته هذه العلوم من قوانين علميّة... وتعليم اللّغات هو صناعة، فعندما تجري بحوث في كيفيّة استثمار ما يثبته علم اللّسان تصبح هذه الصّناعة علمًا تطبيقيًّا هو علم تعليم اللّغات Didactique des Langues أو Langage Teaching »[2].

وقد أدّى الخلط بين النّحو العلمي والنّحو التّعليمي عند كثير من دعاة التّيسير المعاصرين «إلى الطّعن فيما تركه لنا العلماء العرب، حتّى الأوّلون الفطاحل منهم...كما حاولوا أيضًا تبسيط النحو، وهذا دليل واضح على التباس المفهومين المذكورين عليهم، إذ كيف يُبسّط النحو وهو القانون الّذي بُني عليه اللّسان ! ولا شكّ أنّهم أرادوا تبسيط الصّورة الّتي تُعرض فيها القواعد على المتعلّم، فعلى هذا ينحصر التّبسيط في كيفيّة تعليم النّحو، لا في النحو نفسه؛ لأنّه علم محض»[3]. وهنا يتساءل الحاج صالح: هل يُعقل أن يجحف بالعلم بحذف بعض قوانينه وعلله؟ ليُجيب عن ذلك بالقول:«نعم قد تعسّف المتأخّرون في التعليل، ولكن هذا غير وارد أبدًا بالنّسبة للمتقدّمين، فإنّ جل ما أثبتوه أقرّه العلم الحديث...ومهما يكن من أمر فإنّ الخطأ قائم، إذ لا يُميّز هؤلاء المصلحون بين ما هو علم _ وينبغي أن يكون معقّدًا مجرّدًا عميقًا

[1] الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الجزائر، 2012، ص13.
[2] الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، ص13.
[3] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص178.

وتلك هي طبيعته _ وبين ما هو تطبيق له وينبغي أن تكون ثمراته سهلة المنال أو على الأقل أن تُناسب طبيعة القطاع من النّشاط الإنساني الّذي يجري فيه التّطبيق»[1].

وعليه فالنحو العلمي شيء والنحو التّعليمي شيء آخر، وقد «أخطأ كثير من المعلّمين حين غالوا بالقواعد، واهتمّوا بجمع شواردها والإلمام بتفاصيلها، والإثقال بهذا كلّه على كاهل التّلاميذ ظنًّا منهم أنّ في ذلك تمكينًا لهم من لغتهم،وإقدارًا لهم على إجادة التّعبير والبيان»[2]. كما أنّ معرفة القواعد وحفظها واستظهارها بعيدًا عن الممارسة الفعليّة لها في الواقع الكلامي «قليلة الجدوى في صيانة اللّسان من الخطأ بدليل أنّ أكثر التّلاميذ حفظًا لها، واستظهارًا لمسائلها يُخطئ في كلامه أخطاءً فاحشة...وأنّها كذلك عديمة الجدوى في إقدار التّلاميذ على التّعبير.فكثير منهم يحفظون القواعد ولكنّ أسلوبهم ركيك، وعباراتهم رديئة، وإنشاءهم ضعيف بوجه عام»[3].

المطلب الثالث: النّحو العلمي والنّحو التّعليمي عند القدماء:

إنّ الغاية العمليّة من النحو _عند علماء اللّغة العرب القدماء هي «انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتّثنية والجمع، والتّحقير، والتّكسير، والإضافة، والنّسب، والتّركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربيّة بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها»[4].

وقد أدّى حرص العلماء القدماء على تعليم العربيّة إلى تمييزهم بين مستويين من النحو هما: المستوى النّظري والمستوى العملي، إذ «كان النحو عند نشأته علميًّا وتعليميًّا في الوقت نفسه»[5]، ويُضفي الحاج صالح على هذه الفكرة توضيحًا أكبر بقوله أنّ النحو «كان علميًّا لأنّه كان تدوينًا _لأوّل مرّة في التّاريخ _ لأصول العربيّة، ولأنّ الّذين وضعوه قاموا باستقراء النصّ القرآني لاستنباط هذه الأصول بالموضوعيّة اللّازمة. وبُدئ بتعليم هذه الأصول بمجرّد ما تمّ إثباتها بهذه الكيفيّة. ثمّ احتاج الباحث فيه أن يُبرّر ما يُجيزه من الكلام فاضطرّ أن يأتي بأدلّة علميّة من قبيل التّفسير العلمي. وظهر ذلك في زمان

[1] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص178.
[2] إبراهيم عبد العالي، الموجّه الفنّي لمدرّسي اللغة العربيّة، ط13، دار المعارف، القاهرة، ص203.
[3] إبراهيم عبد العالي، الموجّه الفنّي لمدرّسي اللغة العربيّة، ط13، دار المعارف، القاهرة، ص204.
1. [4] ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجّار،ط1، عالم الكتب، 2006. ص34.
[5] الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، ص13- 14.

عبد اللّه ابن أبي إسحاق حتّى بلغ الغاية في كتاب سيبويه. وما جاء في هذا الكتاب يدلّ على وُجود نشاط علمي سابق واسع وعميق استمرّ ثمانين سنة بعد انتهاء الفترة الأولى وهي فترة تأسيس النحو»[1].

أمّا النحو التّعليمي «فهو ما كان يعلّم الصّبيان وكلّ من كان يرغب في تحسين مهارته اللّغويّة، وكان لهم اهتمام كبير جدًّا بتعليم أبنائهم العربيّة. وكان مرجعهم كأصول مدوّنة، ما وضعه النحويّون، واعتمدوا على ما تعوّدوا عليه منذ القديم، من وضع أولادهم في بيئات فصيحة ومن تحفيظهم الشّعر خاصّة»[2]. وعن النحويّين قال الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين:«كما سمّى النحويّون فذكروا الحال والظّروف...لأنّهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القروقيين البلديّين علم العروض والنحو»[3].وهذا ما يعني أنّ القدماء كانوا على وعي تامّ بضرورة وُجود مؤلّفات نحويّة ذات أهداف تعليميّة. ما دفعهم إلى إعداد مختصرات تحتوي على موضوعات النحو الأساسيّة الّتي من شأنها تلبية حاجات المتعلّم بشكل مبسّط وموجز، مُتجنّبين بذلك المسائل النحويّة الخلافيّة، فكانت مؤلّفاتهم تخلوا من الإسراف في التّفصيل والتّفسير؛ لأنّ همّهم كان تقريب النحو من المتعلّمين، ومن أمثلة هذه المؤلّفات نذكر: كتاب الجمل للزجاجي(ت238هـ)، والواضح للزّبيدي(ت379هـ)، واللّمع لابن جني، وقطر الندى لابن هشام الأنصاري...الخ[4].وقد قام علي أبو المكارم بإحصاء العناوين الّتي تضمّ فحوى التّيسير، ومن جملة ما ذكر: مختصر في النحو، الموجز في النحو، المهذّب في النحو، الواضح في النحو، الإشارة، الشافية...الخ[5].

ورغم ما ميّز هذه المؤلّفات النحويّة المختصرة، من انتقاء للمواضيع وتدرّج في عرضها، وتيسير مسائلها، إلّا أنّ «لهذا للاتّجاه في التعليم والتّأليف آثاره الّتي لا تُحمد؛ لأنّه اتّجاه يعتمد الحفظ والتّلقين والتّكرار»[6]. ومن أهمّ المآخذ الّتي آخذها كريم حسين الخالدي لهذا الاتّجاه نذكر[7]:

[1] الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، ص14.
[2] الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، ص14.
[3] الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتّبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، دت، ص140.
[4] يُنظر، هاشم علي أبو المعالي معالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، تشرين الأوّل 2014، ص157.
[5] يُنظر، أبو المكارم علي، النحو التّعليمي حتّى منتصف القرن التّاسع الهجري، ص84.
[6] الخالدي كريم حسين، مناهج التّأليف النحوي، دار صفاء للنّشر، عمان، 2007، ص54.
[7] يُنظر، الخالدي كريم حسين، مناهج التّأليف النحوي، ص54.

1- اهتمامها بالنحو الإفرادي على حساب النحو التّركيبي، فظهر النحو فيها مفردات متناثرة، لا نحو تراكيب وجمل وأساليب.

2- احتواؤها على أمثلة جافّة لا تلبّي احتياجات المتعلّم، ولا تستجيب لمتطلّبات عصره وبيئته.

3- لم يكن هدفها تنمية المهارات الأساسيّة لدى المتعلّم (كالتّعبير الشّفوي والكتابي)، بل كان هدفها تزويد المتعلّم بمعلومات نظريّة عن اللّغة، تهمّ السلامة اللّغويّة ولا تُفيد التّبليغ.

4- افتقارها إلى التّنظيم الّذي يجعلها صالحة للتّدريس مباشرة، لذا وجب تكييفها مع ما تقتضيه التربية الحديثة.

5- وصف مهدي المخزومي هذا الاتّجاه بـ (الجدب)، حيث يرى أنّ أصحاب هذه المؤلّفات كانوا يصنعون كتبًا مختصرةً مشتقّة من كتب الأقدمين ويُسمّونها مقدّمات أو متونًا ثمّيشرحونها ويُوسّعونها بالتّعليلات والتّأويلات والرّدود والمناقشات[1]. وهذا الاختصار والحذف يعدّ تعقيدا لا تيسيرًا؛ لأنّ التّيسير هو عرض جديد لموضوعات النحو، يتمّن خلاله تحويل المادّة الخام الجافّة إلى مادّة تربويّة حيّة صالحة للتّدريس والفهم[2].

المبحث الثاني: تعليميّة النحو العربي من منظور الحاج صالح:الأطراف، وأسباب الضّعف:

في ظلّ تنامي الدّعوة إلى ضرورة تجديد النحو، وإعادة النّظر في تصنيفه من جديد، وجعله يُساير موجة الحداثة الّتي مسّت مختلف العلوم، قام بعض الدّارسين العرب المحدثين بمحاولات لتحقيق هذه الغاية، ومنهم الحاج صالح الّذي تطرّق إلى قضيّة صعوبة النحو العربي على المتعلّمين، وما نتج عنها من آثار سلبيّة، انعكست في تدنّي المستويات اللّغويّة لدى المتعلّمين. وقد لاحظ الحاج صالح«ضُعف الملكة في اللّغة العربيّة الّذي يتّصف به الكثير من الأفراد، ثمّ قلّة إقبال الطلّاب على أقسام اللّغة العربيّة»[3]. مُقدّمًا وجهة نظر تربويّة لهذه المشكلة، حيث يقول:«ونحن لا نتّهم اللّغة في ذاتها، إنّما الّذي نستضعفه هو كيفيّة استعمال المربّين لها»[4]. ويُرجع الحاج صالح سبب الضّعف في العربيّة بصفة عامّة، عامّة، وفي النحو بصفة خاصّة إلى طريقة تدريس هذه المادّة من جهة، وفي كيفيّة استعمال النّاس لها

[1] يُنظر، المخزومي مهدي، الدّرس النحوي في بغداد، مطبعة السعدون، بغداد،1974 ، ص160.

[2] يُنظر، الخالدي كريم حسين ، مناهج التّأليف النحوي، ص59.

[3] الحاج صالح عبد الرّحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنّشر، الجزائر، 2012، ص159.

[4] الحاج صالح عبد الرّحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص160.

في حياتهم اليوميّة من جهة أخرى[1]، مُحدّدًا أطراف العمليّة التّعليميّة المتمثّلة في المعلّم والمتعلّم وطريقة التّدريس، أو ما يُعرف بالمثلّث الدّيداكتيكي، مُحلّلًا مواضع ضعف تعليميّة النحو العربي كما يلي:

المطلب الأول: ضرورة معرفة احتياجات المتعلّم :

تعدُّ حاجة المتعلّمين نقطة مهمّة وأساسيّة في العمليّة التّعليميّة، حيث يرى الحاج صالح أنّها خطوة أوليّة لا بدّ منها، ذلك أنّ تحديد محتوى التّدريس تحديدًا علميًّا لا يكون بتحليل المادّة التعليميّة فحسب، بل يتعدّاها إلى جمهور المتعلّمين وقدراتهم واستعداداتهم وأهدافهم، وتحليل احتياجاتهم اللّغويّة، فتدريس النّحو إلى (ز) و(ع)← (زيد وعمرو)، يقتضي قبل كلّ شيء معرفة من هو (ز) ومن هو (ع)، وماذا يريد كلّ منهما أن يتعلّم من اللّغة؟ ولماذا؟[2] ما يعني أنّ تحديد الأهداف التّعليميّة، ومحتوى التّدريس، والطّريقة الّتي يُعرض بها ذلك المحتوى يقتضي تحديد نقطة ارتكاز العمليّة التعليميّة، ألا وهو المتعلّم[3].

المطلب الثاني: ضرورة تكوين مدرّسي النحو:

يرى الحاج صالح أنّ ضُعف الطّلبة في مادّة اللّغة العربيّة ونحوها، تقع مسؤوليتها على المعلّم، وهنا لا بدّ من توضيح أمر مهم وهو أنّ المعلّم لا يتحمّل هذه المسؤوليّة لوحده، وإنّما الجزء الأكبر من المسؤوليّة يقع على الجهات الوصيّة القائمة على إعداد البرامج، وتكوين المعلّمين قبل أن تُسند إليهم مهمّة التّدريس، وهو ما أشار إليه أحمد عبد الستّار الجواري بقوله:«علينا إعداد الّذين يقومون على تدريس النّحو وتعليمه، إعدادًا يشتمل على فقه ومعرفة واعية بالنّحو، وسائر علوم العربيّة، حتّى لا يبقى النحو مادة غريبة عن الأفكار فلا يُنتفع به»[4].

ويقول الحاج صالح أنّه«لا يُمكن لمدرّس اللّغة اليوم أن يجهل ما أثبته العلم في عصرنا الحاضر من حقائق وقوانين، ومن معلومات مفيدة، ومناهج ناجحة في التّحليل اللّغوي»[5]، كما أشار إلى حاجة المعلّم إلى العلم النّظري أكثر من المتعلّم، إذ يقول:«إنّ الّذي يحتاج إلى العلم النّظري هو المعلّم والمدرّس

[1] يُنظر، الحاج صالح عبد الرّحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص191.

[2] يُنظر، هاشم علي أبو المعالي معالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، ص160.

[3] يُنظر، معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، ص160.

[4] الجواري أحمد عبد الستّار، نحو التّيسير، دراسة ونقد منهجي، ص15.

[5] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص181.

لا التّلميذ، وحاجته إليه إنّما هي ناتجة عن حاجته المسيسة إلى تصوُّر صحيح للمادّة الّتي يُدرّسها، تصوُّر سليم لا تشوبه الانطباعات الذّاتيّة أو الأوهام الشّائعة»[1].

أمّا عن انتقاء وترتيب وعرض المادّة النحويّة المراد تدريسها فقد طرح الحاج صالحإستراتيجية عمليّة أكثر نفعيّة، استوحاها من التّراث اللّغوي العربي الأصيل، وحمّل مسؤوليّة تطبيقها في الواقع التّعليمي للمعلّم، حيث يرى أنّه:«ينبغي للمعلّم أن ينبّه المتعلّم على وُجود وجهين على الأقل في تأدية الأغراض»[2]. مُشيرًا إلى أنّه ما من لسان في الدّنيا إلّا وفيه هذان المسلكان بالنّسبة إلى مستعمليه، وهذان الوجهان هما[3]:

أولا: حالة انقباض المتكلّم وشدّة عنايته بما يتفوه من ألفاظ، وما يُحدثه من صياغة، وهذا تقتضيه حرمة المقام، ويُسمّيه الحاج صالح "التّعبير المنقبض المرتل"[4]. وهو يعني أنّ للّغة العربيّة كيفيّة واحدة في التّعبير، وهذا غير صحيح. والّذي رسّخ هذا الاعتقاد هو إهمال المعلّم للمستوى العفوي من اللّغة، ومن أمثلة هذا المستوى عند العرب ما ورد عند العرب من تسهيل للهمزة، وإدغام الحروف وإخفاء الحركات، وتسكين بعض المتحرّكات، وحذف ما يستغنى عنه في حال الخطاب المرئيّة، إذ كان همّ المعلّم هو الإعراب، والنطق الصّحيح ببنية الكلمة[5].

ثانيا: حالة تبذل واسترسال وعفويّة التّعبير، وهذا يحصل في مواضع الأنس والاسترخاء، وقد ذكر الجاحظ هذه الألفاظ، إذ قال:«هم أجدر أن يفصلوا بين مواضع أُنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم»[6].

وأشار الحاج صالح أنّه على الرّغم من الثُّقل على ذاكرة المتعلّم بإعطائه أكثر من وجه في الأداء، إلّا أنّه يتوجّب على المعلّم أن يُنبّه إلى وُجود هذين الوجهين(المنقبض والاسترسالي)، بالإضافة إلى أنّ ما يُذكر للمتعلّم من هذا التعبير أو ذاك الّذي أُصيب بالتّخفيف فهو فصيح، وإذا نُطق به في مقام الأنس فهو بذلك خاضع لما تقتضيه لغة العرب ولم يخرج عنها، وهذا من شأنه إحياء التّعبير الفصيح في لغتنا اليوميّة[7].

[1] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص181.
[2] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص 163.
[3] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص70.
[4] الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص163.
[5] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص163.
[6] الجاحظ، البيان والتّبيين، ج3، ص114.
[7] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص163.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 672-689

كما أنّ الانتقاء الجيّد والموضوعي لمحتوى المادّة المراد تدريسها كمًّا وكيفًا من شأنه أن يضمن لها تعليمًا جيّدا؛ لأنّ الاختيار العلمي خطوة مهمّة لا بدّ منها، ولكن الأهم من ذلك هو طريقة عرض ذلك المحتوى على المتعلّم، بعد توزيعه على المستويات المختلفة والدّروس، وإعطائه صبغة التدرّج المناسب، الّذي يجعل المتعلّم يتقدّم في مسيرته التّعلّميّة[1].

المطلب الثالث: اختيار المادّة اللّغوية:

يُعدّ اختيار المادّة اللّغويّة أهم محور في العمليّة التّعليميّة، وهو الأمر الّذي جعل النحاة المجدّدين (دعاة التّيسير) يجعلونها منطلقًا للتّيسير؛ لأنّهم يرَوْن أنّ صعوبة تعلُّم النحو سببه قِدم هذه المادّة، وتعقّدها، وعدم إيفائها لحاجات المتعلّم،وعدم مناسبتها لقدراته، وهنا انقسمت آراء دعاة التيسير النحوي بين مُطالب بتيسيرها وتجديدها، وآخر دعا إلى تخفيفها وإعادة صياغتها، وثالث ثار ضد محاولات التّيسير والتّجديد ودعا إلى الحفاظ عليها كما هي[2]. وفي هذا الصّدد دعا الحاج صالح إلى الاعتماد على كتب التّراث وحدها، مُطالبًا بالرّجوع إلى كتابات الفطاحل من علماء اللّغة والنحو، مُبيّنًا ما اتّصفت به أقوال هؤلاء الروّاد من علميّة تُنافس ما وصلت إليه النّظريات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة، مُنبّهًا إلى ضرورة تفهُّم ما قالوه، وما أثبتوه من حقائق علميّة[3]، مُبيّنًا ما وقع فيه كثير من دعاة التّيسير من خلط بين مقتضيات البحث اللّغوي وبين مقتضيات التّدريس، ما أدّى ببعضهم إلى نقد المفاهيم الإجرائية للنّحو، كما هو الحال في نظريّة العامل، حيث يعتبرون نظام العوامل أحكامًا مسبقة تمّ فرضها على الدّرس اللّغوي.وعن أهميّة نظريّة العامل يقول الحاج صالح:«إنّ نظريّة العامل هي من أروع ما أبدعه الخليل بن أحمد وأصحابه رحمهم الله ومن أخطر النّظريات الّتي سيكون لها دور عظيم في تطوير معلوماتنا حول الظّواهر اللّغويّة. وذلك لأنّ مفهوم العمل هو المفهوم الدينامي الّذي ينبني عليه المستوى التّركيبي للّغة...فنظريّة العامل يستطيع بها اللّغوي أن يمثّل بها أبسط الكيفيات وأنجعها في التّراكيب المعقّدة الّتي تتداخل فيها العناصر اللّغويّة؛ لأنّها تصوغ التّركيب في قالب رياضي دقيق ويرتقي بها من مستوى مادّي معقّد إلى مستوى صوري مجرّد قابل للصّياغة وبالتّالي قابل للاستخدام في الحاسبات الإلكترونيّة»[4]. واللّغة العربيّة في أمسّ

---

[1] يُنظر، الشريفوني عيسى، اعتبارات نظريّة وتطبيقيّة في تدريس القواعد لمتعلّمي العربيّة من غير الناطقين بها، مجلة اللّغة العربيّة، الجزائر، المجلّد18، العدد2، 1998، ص47.

[2] يُنظر، هاشم علي أبو المعالي معالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، ص162.

[3] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان ، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص169.

[4] الحاج صالح عبد الرّحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، ص 170- 171.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883
السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 672-689

أمسّ الحاجة إلى هذا النّظام لترتيب مادّتها وانسجامها واطّرادها والسّيطرة على شتات المعطيات اللّسانيّة، واقتصاد وصفها وصياغتها[1].

إنّ ما قاله الحاج صالح من ضرورة الرّجوع إلى كتب الفطاحل من العلماء أمثال الخليل وسيبويه وابن السراج وابن جني وغيرهم، لا يعني أنّه يُعارض الدّعوة إلى التّيسير؛ لأنّ التّيسير عنده يكون في كيفيّة عرض المادّة النحويّة على المتعلّمين، لا في المادّة نفسها، وبالتّالي فإنّ دعوته الرّجوع إلى ما تركه العلماء العرب الفطاحل تتعلّق بنظرته لاختيار المادّة المراد تعليمها ليس إلّا، ذلك أنّ أهم إشكالات النحو وتعليمه تتعلّق باختيار المادّة اللّغويّة، ومستوى ترتيبها، والتدرّج في تقديمها.

كما حاول الحاج صالح أن يجمع بين ما تركه النحاة العرب القدماء وبين ما توصّلت إليه النّظريّات الغربيّة فيما يخصّ تعليميّة اللّغات عامّة، وتعليميّة النّحو خاصّة، فنلتمس نظرته التّيسيريّة لتعليم النحو في:

أولا: تمييزه بين ملكتين: ميّز الحاج صالح بين ملكتين في كيفيّة اكتساب اللّغة وهما الوضع والاستعمال، فالملكة اللّغويّة هي ملكتان هما: القدرة على التّعبير السّليم، والقدرة على تبليغ كلّ الأغراض الممكنة في أحوال خطابيّة معيّنة، ولكلّ واحدة منها قوانين تختصّ بها[2].

ثانيا: اكتساب ملكة السّلامة اللّغويّة: ويعني بها التّحكّم في القواعد والمعجم، يُبنى على إحكام التّصرّف في مُثُل اللّغة، والّذي يكون بإكساب القدرة على الانتقال من الأصل إلى الفروع، والعكس، ومثال ذلك اللّفظة فهي عبارة عن أصل تتفرّع عليه كل الفروع الّتي تقتضيها اللّفظة الاسميّة أو الفعليّة، وإحكام التّصرُّف فيها معناه تطبيق القواعد بعد أن تُكتسب، والّذي يتمّ في وقت قصير بالنّسبة للدّرس النحوي الّذي ينطلق من القاعدة، وتطبيقها، أو العكس[3]. فالغاية من تعليم النحو ليست معرفة قواعد النحو العربي، واستظهار مسائله، وإنّما هي إكساب المتعلّم الملكة اللّغويّة النحويّة.

فحديث الحاج صالح عن القدرة في الانتقال من الأصل إلى الفروع هي منهج تيسيري في تعليم النحو العربي، وهو منهج يندرج ضمن قول ابن خلدون:«اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدًا إذا كان على التدرُّج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا يُلقى عليه أوّلًا مسائل من كلّ بابٍ من الفنّ هي أصول ذلك

[1] يُنظر، مجدوب عزالدين، المنوال النّحوي العربي، قراءة لسانيّة جديدة، ط1، دار محمّد علي الحامي للنّشر والتّوزيع، الجمهوريّة التّونسيّة، 1998، ص48.

[2] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج2، موفم للنّشر، الجزائر، 2007، ص54.

[3] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج2، ص54- 55.

الباب، ويُقرَّب له في شرحها على سبيل الإجمال،ويُراعى في ذلك قوّة عقله، واستعدادُه لقبول ما يردُ عليه حتى ينتهي إلى آخر الفنّ»[1].

ثالثا: اكتساب القدرة على التّبليغ: هي عمليّة يكمن سرّ نجاحها في التصرّف في البُنى والمُثل بما يقتضيه المقام أو حال الخطاب، فالانتقال من غرض إلى آخر_ بحصر الأغراض_ مع التّصرُّف في محتوى المُثل يضمن اكتساب هذه الملكة في وقت أقصر بكثير من تطبيق قواعد النحو والبلاغة[2].

ممّا سبق يتّضح أنّ الحاج صالح قد اتّبع منهجًا حداثويًّا تجديديًّا وتيسيريًّا، فقد ساير الحداثة فضلًا عن التّيسير في النحو العربي، ممّا يجعله رائدًا من رُوّاد التّجديد والتّيسير في النّحو العربي، ومنهجه مختلف عن منهج كثير من معاصريه ممّن ضربوا في أصالة النحو بدعوى التّيسير، فالحاج صالح يستند في دعوته التّيسيريّة إلى التّراث النحوي العربي الأصيل من خلال إعادة إحيائه من جديد، مع إضفاء الصّبغة التّجديديّة عليه دون المساس بمضمونه.

تجدر الإشارة في هذا الصّدد إلى أنّ هناك عدد من الباحثين ممّن يرى أنّ هذه المحاولات التّيسيريّة في النحو العربي عديمة الجدوى، ومنهم الباحث عمر يوسف عكاشة الّذي يرى أنّ:«محاولات التّيسير والتّجديد قد تعاملت مع النحو الواصل إلينا من النحاة، بمعنى أنّها محاولات توقّفت عند النحو العلمي كما هو مُدوّن في كتب النحاة، ولم يُجرّب أصحاب هذه المحاولات خوض غمار (النحو العملي) بما يدلّ عليه من قوانين وسنن تجري وفقه الألسنة»[3].أي أنّ «حركة التّيسير والإصلاح كانت خاضعة خضوعًا تامًّا للتّفكير اللّغوي التّقليدي...ولا يظهر في أعمالهم أدنى أثر لعلم اللّغة إلّا بطريقٍ غير مباشر»[4].

والّذي يدحض هذا الرّأي هو ما نجده من أفكار تجديديّة تيسيريّة فالمتتبّع لما أبدعه الحاج صالح في نظريّته اللّغويّة يتّضح له بشكل جلي أنّه سعى إلى إحياء مفاهيم عربيّة أصيلة،وصحّح أخرى طُمس معناها، فالحاج صالح امتزج فكره بين ما ورد في التراث النحوي العربي الأصيل، والفكر اللّساني الحديث، والتّطور العلمي الّذي مسّ مختلف العلوم، فجعل الأفكار النحويّة الّتي تركها الخليل وسيبويه ومن تبعهم أصلًا يرتكز عليه، كما قام بموازنة هذه الأفكار بما توصّلت إليه النّظريّات الغربية الحديثة «فضلًا عن سعيه إلى إعطاء منهج حداثوي تجديدي تيسيري لدراسة النحو العربي، إذ إنّ نظريّته أسهمت بشكل كبير

[1] ابن خلدون، المقدّمة، ط5، دار الرّائد العربي، بيروت، 1982، ص533.
[2] يُنظر، الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج2، ص55.
[3] عكاشة عمر يوسف، النحو الغائب، ط1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 2003، ص41.
[4] عكاشة عمر يوسف، النحو الغائب، ص41.

وفعّال في تيسير تعليم النّحو، فضلًا عن تيسير النحو، فقد وجد في ذلك ضرورة ملحّة تقتضيها حاجات المتعلّمين فيكلّ زمان»[1].

الخاتمة:

خلُص هذا البحث إلى أنّ مسألة التّيسير النّحوي من المسائل الأكثر إثارة للجدل في الوقت الرّاهن، لذلك فإنّ المُتتبّع لهذه المسألة في دراسات وأبحاث الحاج صالح، يستشفُّ منها تحديده الدّقيق لها، من خلال ربطه إيّاها بالواقع التّعليمي(العملي)، وقد توصّلنا في هذه الورقة البحثيّة إلى أنّ:

– الدّعوة إلى تيسير النّحو قديمة قِدم النّحو، وليست وليدة العصر الحديث.

– مصطلح التّيسير يتداخل مع مصطلحات أخرى لها نفس الغاية، لكنّها تختلف في المناهج المُستخدمة لذلك.

– التّيسير من منظور الحاج صالح يكون في كيفيّة تعليم النّحو، لا في النّحو ذاته.

– هناك فرق بين النحو العلمي والنحو العملي، والّذي يربطهما هو استثمار الثّاني لِما يأتي به الأوّل من جديد المعلومات.

–الحاج صالح استطاع أن يُقدّم وجهة نظر تربويّة لحل مشكل ضعف الطّلبة في مادّة النّحو، وقلّة إقبالهم على تعلُّمه.

– يختلف منهج التّيسير النّحوي عند الحاج صالح عن منهج كثير من معاصريه ممّن ضربوا في أصالة النّحو العربي بدعوى التّيسير.

التّوصيات:

_ ضرورة استثمار ما توصّلت إليه النّظريّة الخليليّة الحديثة _من خلال فكر مؤسّسها الحاج صالح_ في مسألة تيسير النحو أثناء وضع المناهج التّعليميّة.

_الابتعاد عن كلّ النّقاشات العقيمة، والتّجاذبات الفكريّة الّتي لا فائدة منها فيما يخصّ موضوع تيسير النّحو، والتّركيز على ما من شأنه أن يُسهّل على المُتعلّم استيعاب المادّة النّحويّة.

[1] هاشم علي أبو المعالي معالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، ص166.

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلا: الكتب:

1/ إبراهيم عبد العالي، الموجّه الفنّي لمدرّسي اللغة العربيّة، ط13، دار المعارف، القاهرة.
2/ ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج1، تحقيق محمد علي النجّار،ط1، عالم الكتب، 2006.
3/ ابن خلدون، المقدّمة، ط5، دار الرّائد العربي، بيروت، 1982.
4/ أبو المكارم علي ، أصول التّفكير النحوي، ، ط1، دار غريب، 2007.
5/ الأوراغي محمد، اللّسانيات النسبيّة وتعليم اللغة العربيّة، ط1، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.
6/ بلعيد صالح، في قضايا فقه اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.
7/ الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتّبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، دت.
8/ الجواري أحمد عبد الستّار، نحو التّيسير، دراسة ونقد منهجي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984.
9/ الحاج صالح عبد الرحمان ، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الرغاية، الجزائر، 2007.
10/ الحاج صالح عبد الرّحمان، البنى النحويّة العربيّة، المؤسسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الرغاية، الجزائر، 2016.
11/ الحاج صالح عبد الرّحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج1، موفم للنّشر، الجزائر، 2012.
12/ الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، ج2، موفم للنّشر، الجزائر، 2007.
13/ الحاج صالح عبد الرحمان، منطق العرب في علوم اللّسان، موفم للنّشر، الجزائر، 2012.
14/ حسّان تمّام، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2001.
15/ الخالدي كريم حسين، مناهج التّأليف النحوي، دار صفاء للنّشر، عمان، 2007.
16/ عكاشة عمر يوسف، النحو الغائب، ط1، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، 2003.

17/ القرطبي ابن مضاء، الردّ على النّحاة، تحقيق: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1982.

18/ مجدوب عزالدين، المنوال النّحوي العربي، قراءة لسانيّة جديدة، ط1، دار محمّد علي الحامي للنّشر والتّوزيع، الجمهوريّة التّونسيّة، 1998.

19/ المخزومي مهدي، الدّرس النحوي في بغداد، مطبعة السعدون، بغداد،1974.

20/ مصطفى إبراهيم ، إحياء النحو، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، 2002.

21/ المعجم الوسيط، ط2، مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، 1972.

ثانيا: الرّسائل والمذكّرات:

22/ زارب الطيب، تيسير النّحو العربي بين القدامى والمحدثين، دراسة وصفيّة مقارنة، ابن مضاء وعباس حسن أنموذجين، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، كليّة الآداب واللّغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعبّاس، الجزائر، 2019/2018.

23/ هاشم علي أبو المعالي معالي، الاتّجاه التّوافقي بين لسانيات التّراث واللّسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرّحمان الحاج صالح أنموذجا، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة وآدابها، كليّة التربية للبنات، جامعة بغداد، تشرين الأوّل 2014.

ثالثا: المقالات:

24/ أبو المكارم علي، النحو التّعليمي حتّى منتصف القرن التّاسع الهجري، مجلّة معهد اللّغة العربيّة، جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، المملكة العربيّة السّعوديّة، العدد2، 1984.

25/ بلعجين سفيان، الدعوة إلى تيسير النحو العربي، البواعث والمنطلقات، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم العدد18، 2018.

26/ الشريفوني عيسى، اعتبارات نظريّة وتطبيقيّة في تدريس القواعد لمتعلّمي العربيّة من غير الناطقين بها، مجلة اللّغة العربيّة، الجزائر، المجلّد18، العدد2، 1998.